فى بنـى نبهـان

مضـى أكثر من عام على امرئ القيس بعد أن هبط بجموع أتباعه وحلفائه على منازل بنى كنانة، وأوقع فيهم وقعته الخاطئة. مضى ذلـك العام، ومـا كان أطوله عليه من دهر، إذ مـرت به فى أثنائه حوادث وفواجـع، ونزلت به نوازل وكـوارث، بعضها أصابه فى صديـق حميم، وبعضها أصابه فـى أمله الأثير، وبعضها أصابه فى شخصه، وكان ذلك أهونها عليه، وأخفها وقعًا على نفسه.

وعـاد امـرؤ القيس بعد ذلك العـام طريدًا شـريدًا، يضرب فى الأرض وحده، ليس معـه إلا يزيد بن معاوية الجون، أخو صديقه الحميم عامر بن الجون، وأخته المسكينة هند بنت حجر التى قدر عليها أن تقاسمه الشقاء.

ولم يكن عنده من المال إلا ما بقى من ذخائر أبيه حجر، وقليل من الإبل ترعى الأعشـاب المصوحة فى الوديان المقفرة، وهو يقيم فى أرض طيئ مستجيرًا ببنى نبهان، بعد أن نبت به المنازل منزلاً بعد منزل، وأزعج عن جوار من استجار بهم صديقًا بعد صديق.

جلس امرؤ القيس وحده عند سفح جبل طيئ فى أمسية من أماسى الصيف الطالع؛ وكان يأوى إلى ذلك الجبل كلما امتلأ قلبه حسرة، وعاوده الشـعور بعجزه وقسوة الأقدار عليه، وكان عند ذلك يحس

أن الحيـاة قد ضاقت بـه، فلا يرى بها فرجـة يقصدها، ولا ركنًا يـأوى إليه. لقـد طالما ضرب من قبل فى الآفاق وحده، ولم يشـعر بمثل ما كان يشـعر به من الألم واليأس وهو جالس فى مجلسه عند سفح الجبل. فقد كان فى أيامه السالفة يضرب فى الأرض خاليًا من الأشـجان، لا يعبـأ بغير لهوه وصيده وغزله؛ فلـم يكن طالب ثأر خائب، ولم يكن جارًا ثقيل الحمل، تسير العداوة فى آثاره، وتشب الحروب حيث حل، ولـم يكن مقيدًا بأهل يجب عليه أن يرعاهم، ولا مثقلًا بنساء يحرص على الذود عنهن وحمايتهن.

وكان فـى ذلك العـام المنصرم قـد تغير، وحـال لونه وتبدل مظهره، حتى كأنه قد تقدمت به السـن أعوامًا، فدب الشـيب فى فوديـه، وحل العبوس بين عينيه اللامعتين، فخلع عليهما قسـوة بدل الحلاوة. وتجعدت صفحة وجهه الفتى، واكتسى شحوبًا بدل الحمرة، وعلاه قلق بدل الابتسام والمرح، وتغير شِعره فصار مليئًا بالأحزان، لا تخفف من وحشته إلا ذكريات سعادة غابرة، يرددها فتنبعث فى زفرات حرى يرسلها إرسال النواح والبكاء.

وجلـس ينظر حينًا إلـى الأرض البراح الممتـدة تحته، وكأنه هائم فيها على وجهه، لا يسـتقر على قرار، ولا يتجه إلى وجه، ثم أطرق حينًا يتأمل ما مر به من الأحداث وهو بين سـاعة وأخرى ينتفـض انتفاضة، وينطق بلفظ يحدث به نفسـه، كأنه ثائر عليها متبرم بهـا؛ وعاودته ذكريات العام المنصـرم كما تتعاقب الصور

علـى مخيلة الغريق الذى يـودع الحياة؛ فهذا علبـاء بن الحارث الكاهلـى، ذلك العدو الكريه، يراوغـه ويحاوره، ولا يثبت أمامه فـى مكان، منذ ترك منازل بنى كنانة فى ذلك اليوم المنحوس منذ عام، ذلك اليوم الذى جر عليه غضب حلفائه، وألصق به أول وصمة الخيبة والشـؤم، وألحق به معرة نقض العهود، إذ بدأ السـير إلى بنى أسد قبل أن تنقضى مدة الموادعة التى اتفق معهم عليها.

تذكـر ذلـك العدو علبـاء، وهو ينتقـل أمامه من مـاء إلى ماء لا يسـتقر فى مكان ولا يثبـت له فى موقعة حاسـمة، حتى ملت بكر صحبته، وسئمت تغلب طول السير وراءه، فانفضوا جميعًا من حوله كما تزول الرمال فى يوم الريح العاصف.

ثـم ذكر المنذر بن ماء السـماء الذى مـا زال يتبعه أينما حل، فلا يدع له متنفسًا فى رحب الأرض، ولا مستراحًا فى جوار قبيل. لقـد كان يطمع أن يطحن بنى أسـد بمن اجتمع لـه من كندة وبكر وتغلب، ثم يرتد بعد ذلك على المنذر فيزلزل ملكه ويهد عرشـه؛ ولكن الأقدار عاكسته فتحطمت آماله وخاب تدبيره، وانصرف عنه الجيش الكثيف الذى اجتمع لـه، فأصبح أمام المنذر القوى وحده رجـلاً ضعيفًا منبوذًا مشـردًا، ولم يبق له من كل سـعيه إلا وصمة الشؤم ونقض العهد.

وما كان أشـد هـذه الذكرى عليـه! لقد اضطره العجـز إلى أن يلجـأ إلى عمرو بـن المنذر، عمرو ابن عمتـه هند بنت الحارث،

راجيًا أن يجـد عنده الحمايـة التى عجز أن يجدهـا عند أحد من العرب، وأذل كبرياءه بأن استظل بابن عدوه وعدو أبيه، ملتمسًـا إليه الوسـيلة بأمه هند؛ فما كاد المنذر يعرف ذلك حتى بعث إلى ابنه عمرو يأمره بطرده والتخلى عن جواره.

كانـت هذه الذكرى مثل طعنة أصابت قلبه، فانتفض وغلى الدم فى رأسـه، ولم يطق السـكون الشـامل الذى حوله، فنطق بكلمات عنيفة كأنه يحاول أن يجد فيها أنسًـا من سكاع صوته، أو أن يبعد الذكرى عن ذهنه بهزة من نفسه الحانقة.

ولكن الذكرى عاودته وألحـت عليه، كأنها بعض أعدائه الذين كانـوا لا يدعون له راحة ولا يسـمحون له باسـتقرار. ومرت فى ذهنه صورة ذلك اليوم الذى أحاطت به جنود المنذر، وألجأته إلى الهروب، وليس معه إلا يزيد بن معاوية الجون، أخو عامر بن الجون فنجوا معًا بعد مشـقة، ولم يستطيعا تخليص أحد من أهلهما سوى أخته هند، ووقع فى الأسر من كان معه من بنى آكل المرار، ومعهم جابـر بن يحيى التغلبى وامرأتـه العزيزة فاطمة. فاطمة! لقد كان آخر عهـده بها عندما هجـره حلفاؤه من بكر وتغلـب، واتهموه بالشؤم، وانفضوا من حوله كارهين صحبته. لقد أصابه الخذلان عند ذلك وأسقمه، فقضى أسابيع طويلة فى مرض ثقيل الوطأة كاد يقضى عليـه. كان جابر زوج فاطمـة يحمله فى ذلك المرض متنقلا به من حى إلى حى، وفاطمة النبيلة لا تفارق سريره لحظة، لا تدع خدمته

فى ليل ولا فى نهار. لقد أراد أن يشكرها بعد أن استعاد حواسه، فمد يده إلى يدها، ورفعها إلى فمه فقبلها. كانت تلك هى القبلة التى جادت بها فاطمة عليه مع دمعة إشفاق لم تستطع أن تكتمها، ولكنها منذ اطمأنت على حياته فارقت سريره ووكلت خدمته إلى أخته هند وحدها. مسكينة فاطمة! أين لعلها تكون؟ وماذا لعلها لاقت على يد المنذر؟ وفى أية حال لعلها أصبحت بعد أن قتل زوجها المسكين الشهم الذى أخذ بجريرة قومها؟ لقد قتله المنذر الفظيع من أجل أنه زوجها. فماذا لعله فعل بها هى؟ لقد عصر قلبه عصرًا عندما تذكرها وفكر فيما آل إليه أمرها.

ثم ذكر صديقه الوفى، الذى كان عماده وناصحه ودليله، عامر بن الجون أبا فاطمة، وتمثله صريعًا فى يوم من أيام حربه مع بنى أسد، وتذكر كيف أحس بالوحدة، عندما واراه فى حفرة عند ماء (المُلَحاء)، وأعجلته الهزيمة أن يضع على قبره حجرًا يدله على مكانه إذا حج إليه يومًا ليؤدى إليه حق الوفاء. ثم تذكر كيف أن الأقدار لم تكتف بتحطيمه، فما زالت بأهله تطحنهم وتوقع المصائب فيهم، وتفتك بهم واحدًا بعد واحد: تذكر أعمامه إذ يقتل بعضهم بعضًا فى يوم الكلاب بتحريض المنذر الفظيع، حتى حُرِمَ كل نصير وسُلِبَ من كل ظهير.

مرت هذه الخواطر الحزينة الأليمة فى ذهن امرئ القيس، فغلبه الدمع وتساقط على وجهه ورد ائه هو لا يعبأ أن يجففه،

ولاحت له الحياة كريهة ثقيلة موحشة وأخذ يردد أبياتًا بصوت خافت ونبرات حزينة، فجعل يقول:

لقد طوفت فى الآفاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالإياب
أرانا مُوضعين لحتم غيب ... ونسحر بالطعام وبالشراب
إلى عرق الثرى وشجت عروقى ... وهذا الموت يسلبنى شبابى
ونفسى سوف يسلبها وجرمى ... فيلحقنى وشيكًا بالتراب
أرَجى من صروف الدهر لينًا ... ولم تغفل عن الصم الهضاب
وأعلم أننى عما قليل ... سأنشب فى شبا ظفر وناب
كما لاقى أبى حجر وجدى ... ولا أنسى قتيلا بالكُلاب

وفيما كان يترنم بهذا الغناء الحزين، وقلبه يكاد يتفتت من الألم، سمع هيعة على بعد، فى ناحية من الوادى الذى كان فيه مرعى إبله. فنظر حوله فاترًا، وقد عقله اليأس عن الفزع، وكان الليل قد لف الفضاء فى ظلامه، فلم يتبين شيئًا مما دونه، ثم قام بطيئًا وهو يترنح، وسار نحو خيامه متمهلا فى خمول واسترخاء، حتى بلغ باب خيمة أخته هند بعد ساعة طويلة. فجفف دموعه وأصلح ما استطاع من شأنه، ثم تكلف التماسك والتجلد، ورفع ستر الخيمة يريد أن يدخل ليحاول أن يجد عند أخته السلوة التى عجزت الوحدة عن إرسالها إليه؛ ولكنه نظر فى جوانب الخيمة، فلم ير فيها أخته، وناداها باسمها يحسب أنها وراء الستر،

فلم يجبه أحد. فتعجب وعاد خارجًا يبحث عنها ببصره فيما حوله، فلم يبصرها، فدب في قلبه دبيب اضطراب، وذهب مسرعًا نحو الخيام القريبة، حيث كان يقيم بعض بنى نبهان من قبائل طيئ، فوجد الخيام خالية إلا من صغار وعجائز من النساء. فزاد قلقًا، وذهب خياله إلى تلك الهيعة التى سمعها وهو معتزل عند الجبل، وخشى أن يكون قد حل به مصاب جديد من إغارة بعض أعدائه عليه وأن تكون هند قد مسها سوء، فأقبل على امرأة قريبة منه، فسألها عن هند وعن أهل الحى، فعلم منها ما كان: أغار قوم على الحى فى غبش المساء، فطردوا الإبل، وأسرعوا يسوقونها وعاد رعيانها يصيحون فزعين، فخرج الرجال فى آثار المغيرين لاسترجاع الإبل، وخرج النساء وراءهم إلى أطراف الوادى يتنسمن الأخبار.

فصاح امرؤ القيس يسألها: «وهند؟».

فنظرت إليه المرأة متعجبة، وقالت كأنها ساخرة: «أليست مع النساء؟».

فلم يجب امرؤ القيس، وأسرع ذاهبًا إلى الفضاء فى طرف الوادى، وقلبه يخفق اضطرابًا. فقد آل به الأمر بعد تطوافه إلى أن يغير العدو على إبله فيسوقها، وليس معه من يمنتع به إلا هؤلاء الذين حل بينهم لاجئًا، كأنه قاتل خلعه قومه، أو طريد ذليل يطوف بالأحياء لائذًا مستكينًا. وعرج على خيمة ابن عمه يزيد، فلم يجده بها، فأسرع إلى مناخ رواحله يطلب إحداها ليذهب فى أثر القوم،

فوجد المناخ خاليًا. فامتلأ قلبه حنقًا وقلقًا، وذهب مسرعًا فى الفضاء وهو حائر لا يدرى أين يتجه، فسمع عن بعد صوت نساء يتعالى فى صخب مضطرب، فقصد نحو الصوت حتى بلغ جمعهن، فجرى إليهن وهو يصيح فى فزع: «هند!».

فأجابته أخته بصوتها الرقيق، وقد غلبت عليه رنة الحزن: «أخى!».

وأسرعت إليه فتلقاها فى صدره فاتحًا لها ذراعيه ومال على رأسها، فقبله قائلا: «حسبى أنك سالمة».

ثم سألها عن الأمر، فقصت عليه القصة الأليمة:

كانت فى خيمتها فى المساء، فسمعت صيحة الرعيان وهم يستصرخون القوم للنجدة، فخرجت نحوهم، ورأت نساء بنى نبهان قد تجمعن من بيوتهن ووقفن يملأن الجو صياحًا، ويتحدثن بإغارة بنى زيد على إبل امرئ القيس، ورأت الرجال يركبون سراعًا فى أثر المغيرين، فذهبت مع النساء مندفعات مع فزعهن، فسأل امرؤ القيس فى لهفة: «ويزيد بن معاوية؟».

فقالت هند: «ركب فرسك الشقراء وسار مع القوم».

فتلفت حوله مضطربًا نحو مناخ الرواحل ثم سأل هندًا بغير أن ينظر إليها: «وأين الرواحل؟».

فقالت هند فى أسف: «ركبها خالد النبهانى فى جماعة من قومه وخرجوا فى أثر بنى زيد».

فوقـف امرؤ القيس لحظة وهو صامت، ثم قال فى شـبه يأس: «إذًا فلنذهب إلى المنزل».

وأخـذ بذراع أختـه، وعاد معها إلى خيمته وهـو مطرق يملؤه الأسى والشعور بالعجز، وتثور نفسه ولا يجد لثورتها متنفسًا.

وقضـى صدر الليل مـع أخته فى حديث متقطـع، وهو يتكلف إظهار الهدوء وقلة الاكتراث بما كان، ويحاول جهده ألا يعرج فى الحديث على شىء مما حدث. وكانت هند تجتهد مثله أن تخفى ما سـاورها من الجزع، وما داخلها من شعور بالذلة والضعف. وأوشك الليـل أن ينتصف، ولـم يرتفع صوت يدل على عـودة الذين ركبوا فـى أثر المغيرين، فتظاهر كل من الأخويـن أنه يريد النوم، وكل منهما يريد بذلك إشـفاقًا على صاحبه من تطاول السهر؛ فقام امرؤ القيس إلى خيمته، وقامت هند إلى مخدعها؛ ولكنهما قضيا سائر الليلة فى وحدة مضطربة مؤرقة، يترقبان طلوع الفجر، ولا يكادان يحسبان أن لليلهما نهاية. ثم مضى الليل بطيئًا حتى انبلج الصبح، فقـام امرؤ القيس وخرج من خيمته، وأخذ يجيل بصره فى أطراف الأفق، وهو لا يسـتقر فى مكان، مترددًا بين رؤوس التلال وبطون الوديان، حتى طلعت الشـمس، وانبعث شـعاعها الرفيق يمسـح أطـراف الربى مما عليها مـن الندى اللامع، وهب نسـيم الصباح رخيًّـا كمـا ينهض الراقد الفاتـر من مرقده؛ فعادت إليه نفسـه، ودب فيه شـىء من النشـاط، وبدأ يحس بعض نشوة القوة والأمل.

وتحرك فيه شجن هادئ، فسار فى الفضاء كما كان يسير منذ أعوام، يتملى بحسن إشراق الشمس، ويملأ صدره من الهواء البليل الصافى. وجعل يتغنى لنفسه ناسيًا كل ما كان يحيط به من هم وكرب، وعاش لحظات فى خياله يضرب فى عالم الذكريات وهو ينشد:

فإن أمس مكروبًا فيا رب بُهمة كشفت إذا ما اسودّ وجه الجبان
وإن أمس مكروبًا فيا رب غارة شهدت على أقبَّ رخو اللبان
وغيث من الوسمى حُوّ تلاعه تبطّنته بشيظم صَلَتان
مِكر مفر مقبل مدبر معًا كتيس ظباء الحُلَّب العدوان
إذا ما جنبناه تأوَّد متنه كعرق الرُّخامى اهتز فى الهطلان

وفيما هو فى إنشاده حانت منه التفاتة إلى جانب الأفق، فرأى فارسًا مقبلا يسير فى غير عجلة، فوثب قلبه فى صدره وأسرع إلى رأس ربوة وجعل يتأمله، فعرف أنه يزيد بن معاوية. وعرف من بطء سيره أنه كان مقبلا بقلب ثقيل. فسار نحوه ليلقاه حتى إذا ما صار قريبًا منه نظر إليه فى تلهف ظاهر وصاح يسأله: «وأين أصحابك؟».

فصمت يزيد لحظة، ثم أجاب بصوت حانق: «ما هم لى بصحاب».

فعلم امرؤ القيس من هذا الرد ما وراءه. ووقف حتى أتى إليه يزيد، وسارا معًا عائدين إلى المنازل فى صمت ووجوم؛ وكانت هند أول من لقيا، فنظرت إلى وجهيهما وأدركت من مظهرهما

أنهما عائدان بالخيبة، فلم تسألهما، وسارت إلى جانب أخيها مطرقة حتى بلغوا الخيام، واتخذ كل من الرجلين مكانًا على نشز من الأرض، وجلست هند تحت قدمى أخيها على الرمل، وانصرفت إلى مغزل فى يديها تشتغل به عن الهم الذى ملأ صدرها.

لم يعد بنو نبهان إلى الحى إلا عصر ذلك اليوم، وكانوا يمشون فى كلال، وخالد يسير أمامهم يخبط الأرض برجليه الغليظتين، ويتكفأ بقامته القصيرة مطرقًا برأسه الضخم فى حيرة بادية، وصفرة من الخجل تعلو جبينه الناتئ، زادت وجهه قبحًا على قبحه.

سمع امرؤ القيس بعودة القوم فخرج من خيمته مع يزيد بن معاوية، ليسمع ما يحملون من قصتهم مع العدو، فوقعت عينه على وجه خالد وهو يسير مترددًا كاسفًا، ووقف يتأمله لحظة فاتحًا عينيه فى دهشة كأنه لم يره من قبل تلك الساعة ثم انفجر ضاحكًا ضحكة عالية طويلة، وارتد إلى الوراء خطوة وهو يقول: «تعجبنى مشيتك يا خالد».

فنظر إليه يزيد متعجبًا، فوقف بنو نبهان مبهوتين، وقد امتزج على وجوههم الغضب بالتعب والخجل، ومضت لحظة طويلة قبل أن يتكلم خالد ردًا على هذه السخرية القاسية، ثم رفع رأسه حانقًا، واتجه إلى امرئ القيس فقال فى دفعة كصرخة الجريح: «وماذا أعجبك من مشيتى؟ أتسخر منى إذ أسعى فى شأنك أيها الرجل؟».

فعاد امرؤ القيس إلى الضحك قائلًا: «لقد ذهبت راكبًا وعدت على قدمين تمشى كما تمشى الأتان الحائرة وهى تدفع عن ورود الماء».

فصاح به خالد: «يا لك من وغد!».

فعاد امرؤ القيس إلى ضحكه وصاح: «دع عنك شأنى أيها القصير الغليظ، وقل لى أين ذهبت رواحلى؟».

فارتاع يزيد من قول امرئ القيس، وأسرع إلى جانبه فأمسك بذراعه يهدئه خوف أن يتحول الأمر من خصام وسباب إلى عراك وقتال، ثم اتجه إلى خالد فوقف أمامه وقال له يحاول استرضاءه: «لا بأس عليك يا أخى، فانصرف الآن مشكورًا على سعيك».

فاندفع امرؤ القيس عند ذلك صائحًا يعيد قوله متجهًا إلى خالد: «خبرنى أين ذهبتَ برواحلى؟ دع عنك الإبل التى سلبها المغيرون من مراعيها، فهذا أمر لا بدعة فيه، دع هذه فلست أحدثك عنها. ولكن خبرنى كيف أخذوا الرواحل من تحتك، ومن تحت أصحابك أيها الحُزُقّة الغليظ؟ كيف نزعوها من بين ساقيك الغليظين؟».

وما كاد يفرغ من قوله، حتى اندفع خالد نحوه فى غضبة وحشية، ودفع يزيد أمامه فى هياجه.

فأسرع امرؤ القيس مرتدًّا إلى الوراء خطوات، وجرد سيفه وصاح به قائلًا: «قف مكانك قبل أن أضع هذا فى صدرك».

وكان مظهره عند ذلك ينم عن اليأس والحنق الثائرين فى نفسه. كان وجهه مقلصًا مربدًّا، وعيناه جاحظتين محمرتين وأوداجه

منتفخـــة. فوقف خالد وهو لا يكاد يســتطيع النطق وجرد ســيفه عازمًــا على قتال ذلك اللاجئ الثائر الذى يســبه فى عقر داره هذا السباب المقذع.

وقد حدث ذلك كله في لحظة قصيرة لم تمكن أحدًا من التدخل، ولم تدع فرصة لأحد لكي يحول بين الرجلين. فأسرع يزيد واثبًا من مكانه نحوهما، وجرى من كان هناك من كل ناحية إليهما، ووقف يزيـد في وجه امرئ القيـس فقال في غيظ وتوسـل: «هذا صدرى فاطعنه إذا شئت. فلن تصل إليه قبل أن تقتلني».

وكان فــي ثبات قوله وقوة صوته ما أعاد إلى امرئ القيس بعض رشده، فتردد ونظر إليه فتقابلت عيناهما.

وكان فى نظرة يزيد ما جعله يغض من نظرته الهائجة.

وكان بنــو نبهان قــد اجتمعوا عند ذلك حول خالد، وأمســكوا بســيفه فنزعوه من يده، وجعلــوا يذكرونه بما يجب عليهم، نحو رجل حل جارًا عليهم وأقام عندهم ليس له ناصر عليهم، ثم انصرفوا بــه يجذبونه جذبًا حتى بعدوا به ذاهبين إلى مضارب خيامهم فى الوادى المجاور.

فأغمد امرؤ القيس عند ذلك ســيفه، وســار يزيــد يقوده قابضًا على ذراعه حتى بلغا الخيمة فدخلاها، ورمى امرؤ القيس ســيفه إلى ناحية منها ثــم ارتمى على أريكة خائرًا، وأكب على وجهه، وعاودتــه تلــك النوبة الشــديدة التــى كانت تعتريه، واســتخرط فى البكاء.

فى مساء ذلك اليوم ذهب امرؤ القيس إلى خيمة أخته ينبئها بما عزم عليه من مغادرة جوار طيئ، والسير مرة أخرى فى الآفاق يلتمس جوارًا جديدًا، فوجدها تحلب فِرْقًا من مِعزى أتى بها بنو نبهان إليها، بعد أن ذهبت إبل امرئ القيس فى جوارهم، فوقف عن بعد يتأمل أخته الجميلة التى نشأت فى عز أبيها وملكه، إذ تقبل على الماعز تتملقها وتتلطف بها لكى تدر ألبانها، وهى تملأ الفضاء ثغاءً وتدفع بساقيها وتضطرب برأسها. فخفق قلبه خفقة أحس منها كأنه انخلع من صدره؛ ولكنه تمالك نفسه وتجلد، وذهب نحوها متكلفًا النشاط والمرح، ووقف إلى جوارها، فنظرت إليه مبتسمة وقالت له فى سرور تعجَّبَ منه: «أرأيت كيف لم تقطر قطرة من لبنها على الأرض؟».

فمال امرؤ القيس ومسح على رأسها عاطفًا، ثم أقعى إلى جوارها يساعدها على الحلب، ويسند لها القعب خوف أن يندلق ما فيه؛ ثم جعل يترنم فى مرح على وقع أزِّ اللبن فى الإناء، فقال:

إذا ما لم تكن إبل فمعزى كأن قرون جِلَّتها العِصىّ
فتملأ بيتنا أقِطًا وسمنًا وحسبك من غنى شبعٌ وريّ

ولما انتهت هند من حلبها حمل امرؤ القيس القعب وذهب به إلى الخيمة، وهند فى آثاره، وفى قلب كل منهما شجن يحاول أن يخفيه عن صاحبه.